واحدًا؟ إن أمرك لعجب!».. ثم قال بعضهم لبعض: «إنه - والله - ما هذا الرجل بمعطيكم شيئًا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه».. ثم تفرقوا».

مصيبتان عظيمتان

وأراد الله أن تنقضي وشيكًا هذه الهدنة؛ فلم يلبث أبو طالب أن مات، ولم تلبث خديجة أن ماتت على أثره، وأصبح رسول الله ﷺ أمام عدوه وجهًا لوجه وتحققت بذلك لقريش أمنية طالما تمنتها وتطلعت إليها: هي أن تنفرد برسول الله وأن تبلغ من أذاه ما يَشفي غليلها، ويُرضي نزعة الحقد الكمين في صدورها. ولله في ذلك حكمة هو مقدّرها، وأمر هو بالغُه.

لقد كان أبو طالب حصنًا حصينًا يحوط رسول الله ﷺ من جميع نواحيه، ويدفع عنه كثيرًا من الأذى والضر. وكانت خديجة سكَنَه الذي يأوي إليه، ويستجير به كلما كَرَبه الهم، وضاق صدره بما يلقى من عناد القوم، فيجد عندها الفرج والراحة والعزاء. فلما مات أبو طالب وخديجة، واجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان عظيمتان: فَقْدُ النصير وفَقْدُ المُجير! فاشتد به